

## سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ رَمْلًا ﴿بَلَىٰ قَدْ دَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ قيل: إن ﴿لا﴾ صلة، وجاز وقوعها في أول السورة؛ لأن القرآن متصل ببعضه ببعض، فهو في حكم كلام واحد؛ ولهذا قد يذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة أخرى؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] وجوابه في سورة أخرى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٢]، ومعنى الكلام: أقسم بيوم القيامة؛ قاله ابن عباس وابن جبير<sup>(١)</sup> وأبو عبيدة؛ ومثله قول الشاعر:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَىٰ فَاعْتَرَتْنِي صَبَابَةٌ فَكَادَ صَمِيمُ الْقَلْبِ لَا يَتَقَطَّعُ

وحكى أبو الليث السمرقندي: أجمع المفسرون أن معنى: ﴿لَا أَقْسِمُ﴾: أقسم، واختلفوا في تفسير ﴿لا﴾ قال بعضهم: «لا» زيادة في الكلام للزينة، ويجرى في كلام العرب زيادة ﴿لا﴾ كما قال في آية أخرى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] يعني: أن تسجد، وقال بعضهم: ﴿لا﴾ ردٌ لكلامهم حيث أنكروا البعث، فقال: ليس الأمر كما زعمتم.

قلت: وهذا قول الفراء، قال الفراء: وكثير من النحويين يقولون: «لا» صلة، ولا يجوز أن يبدأ بجحد ثم يجعل صلة؛ لأن هذا لو كان كذلك لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه، ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالرد عليهم في كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ وذلك كقولهم: لا والله لا أفعل، ف «لا» ردٌ لكلام قد مضى، وذلك كقولك: لا والله إن القيامة لحق، كأنك أكذبت قوماً أنكروه، وأنشد غير الفراء لامرئ القيس:

فَلَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرُّ

وقال غويّة بن سلمى:

أَلَا نَادَتْ أَمَامَةً بِاحْتِمَالٍ لِيَحْزُنَنِي فَلَا بِكَ مَا أَبَالِي

وفائدتها تأكيد القسم في الرد، قال الفراء: وكان من لا يعرف هذه الجهة يقرأ «لأقسم» بغير ألف<sup>(٢)</sup>؛ كأنها لام تأكيد دخلت على أقسم، وهو صواب؛ لأن العرب تقول: لأقسم بالله وهي

(١) حسن إن سلم من عننة ابن جريج: الطبري (٢٩/ ١٨٣) في تفسيره.

(٢) قراءة متواترة: كما في الإقناع (٢/ ٧٩٨).

قراءة الحسن وابن كثير والزهري وابن هُرْمُز ، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي : بيوم يقوم الناس فيه لربهم ، والله عز وجل أن يقسم بما شاء ، ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ لا خلاف في هذا بين القراء ، وهو أنه أقسم سبحانه بيوم القيامة تعظيماً لشأنه ، وعلى قراءة ابن كثير أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية : وقيل : ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ رد آخر وابتداء قسم بالنفس اللوامة ، قال الثعلبي : والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً ، ومعنى : ﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ أي بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه ، يقول : ما أردتُ بكذا ؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه ؛ قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم ، قال الحسن : هي والله نفس المؤمن ، ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه : ما أردتُ بكلامي ؟ ما أردتُ بأكلتي ؟ ما أردتُ بحديث نفسي ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه <sup>(١)</sup> ، وقال مجاهد : هي التي تلوم على ما فات وتندم ، فتلوم نفسها على الشر : لم فعلته ؟ وعلى الخير لم لا تستكثر منه؟ <sup>(٢)</sup> ، وقيل : إنها ذات اللوم ، وقيل : إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها ؛ فعلى هذه الوجوه تكون اللوامة بمعنى اللائمة ، وهو صفة مدح ؛ وعلى هذا يجيء القسم بها سائغاً حسناً ، وفي بعض التفسير : إنه آدم عليه السلام لم يزل لائماً لنفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة ، وقيل اللوامة بمعنى الملوامة المذمومة - عن ابن عباس أيضاً <sup>(٣)</sup> فهي صفة ذم وهو قول من نفى أن يكون قسماً ؛ إذ ليس للعاصي خطراً يُقسم به ، فهي كثيرة اللوم ، وقال مقاتل : هي نفس الكافر يلوم نفسه ، ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله ، وقال الفراء : ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها ؛ فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحساناً ، والمسيء يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته .

قوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تُجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ فتعيدها خلقاً جديداً بعد أن صارت رُفَاتاً ، قال الزجاج : أقسم بيوم القيامة ، بالنفس اللوامة : ليجمعن العظام للبعث ، فهذا جواب القسم ، وقال النحاس : جواب القسم محذوف أي : لتبعثن ؛ ودلّ عليه قوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ تُجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ للإحياء والبعث ، والإنسان هنا الكافر المكذب للبعث ، والآية نزلت في عدى بن ربيعة قال للنبي ﷺ : حدثني عن يوم القيامة متى تكون ؟ وكيف أمرها وحالها ؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به ، أو يجمع الله العظام ؟ ! ولهذا كان النبي ﷺ يقول : « اللهم اكفني جارِ السوءِ عدى بن ربيعة ، والأخنس بن شريق » <sup>(٤)</sup> ، وقيل : نزلت في عدو الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت <sup>(٥)</sup> ، وذكر العظام والمراد نفسه كلها ؛ لأن العظام قالب الخلق ﴿بَلَى﴾ وقف حسن ، ثم تبتدىء ﴿قَادِرِينَ﴾ ، قال سيبويه : على معنى نجمعها

(١) صحيح إلى الحسن : وقد رواه ابن كثير (٨ / ٢١٦) في تفسيره من طريق قُرّة بن خالد وهو ثقة روى له الشيخان ، وعزاه السيوطي (٦ / ٤٦٤) في الدر المنثور لابن أبي الدنيا في محاسبة النفس .

(٢) صحيح إلى مجاهد : الطبري (٢٩ / ١٨٥) في تفسيره .

(٣) ضعيف : للانقطاع بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس - رضي الله عنهما - كما في تفسير الطبري (٢٩ / ١٨٥) .

(٤) ضعيف : الواحدي (ص ٣٨٣) في أسباب النزول بلا سند ، وقد وجدته متفرداً به لم يروه غيره .

(٥) لم أجده هكذا .

قادرين ، ف «قَادِرِينَ» حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرناه من التقدير، وقيل : المعنى : بلى نقدر قادرين . قال القراء «قَادِرِينَ» نصب على الخروج من «تجمع» أي: نقدر ونقوى «قادرين» على أكثر من ذلك ، وقال أيضاً : يصلح نصبه على التكرير أي: «بلى» فليحسبنا قادرين ، وقيل : المضمر كنا أي: كنا قادرين في الابتداء ، وقد اعترف به المشركون ، وقرأ ابن أبي عبلة وابن السَّمِيع «بلى قَادِرُونَ» بتأويل نحن قادرون، «عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ» البنان عند العرب : الأصابع ، واحداها بنانه ؛ قال النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَمَّ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعَقِّدُ

وقال عنترة :

وَأَنَّ الْمَوْتَ طَوَّعَ يَدِي إِذَا مَا وَصَلْتَ بَنَانَهَا بِالْهِنْدُؤَانِي

فَبَهْ بالبنان على بقية الأعضاء ، وأيضاً فإنها أصغر العظام ، فخصها بالذكر لذلك ، قال القتيبي والزجاج : وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام ؛ فقال الله تعالى : بلى قادرين على أن نعيد السَّلاميات على صغرها ، ونؤلف بينها حتى تستوى ، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر ، وقال ابن عباس وعامة المفسرين : المعنى «عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ» أي: نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير ، أو كحافر الحمار ، أو كظلف الخنزير ، ولا يمكنه أن يعمل به شيئاً ، ولكننا فرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء <sup>(١)</sup> وكان الحسن يقول : جعل لك أصابع فأنْتَ تبسطهن ، وتقبضهن ، ولو شاء الله لجمعهن فلم تنق الأرض إلا بكفك <sup>(٢)</sup> ، وقيل : أي نقدر أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم ، فكيف في صورته التي كان عليها ؛ وهو كقوله تعالى : «وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ» [الواقعة] .

قلت : والتأويل الأول أشبه بمساق الآية ، والله أعلم .

قوله تعالى : «بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ» ، قال ابن عباس : يعني الكافر يكذب بما أمامه من البعث والحساب <sup>(٣)</sup> ، وقاله عبد الرحمن بن زيد ؛ ودليله : «يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: يسأل متى يكون ! على وجه الإنكار والتكذيب فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب ولكن ياثم لما بين يديه وما يدل على أن الفجور : التكذيب <sup>(٤)</sup> ما ذكره القتيبي وغيره : أن أعرابياً قصد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشكا إليه نَقَب <sup>(٥)</sup> إبله ودبرها <sup>(٦)</sup> ، وسأله أن يحملها على غيرها فلم يحمله ؛ فقال الأعرابي :

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرٍ

فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجَرٌ <sup>(٧)</sup>

(١) ضعيف إلى ابن عباس من كل طرقة: ففيه ابن حميد وهو منهم ، وفيه جهالة إلى سعيد بن جبير ، ثم روى من طريق العوفيين كما في تفسير الطبري (٢٩ / ١٨٦) .

(٢) صحيح إلى الحسن : تفسير الطبري (٢٩ / ١٨٦) .

(٣) منقطع : بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس - رضي الله عنهما : السابق (٢٩ / ١٨٨) .

(٤) حسن إليه : السابق (٢٩ / ١٨٧) .

(٥) الثقب : قطع متفرقة من الجرب ، وقيل : هو الجرب . اللسان «ثقب» .

(٦) الدبر : الجرح يكون في ظهر البعير : اللسان «دبر» .

(٧) انظر : تفسير الماوردي (٦ / ١٥٢) وهو النكت والعيون .

يعني: إن كان كذبنى فيما ذكرت ، وعن ابن عباس أيضاً : يعجلُ المعصية ويسوفُ التوبة ، وفي بعض الحديث ، قال : يقول سوف أتوب ولا يتوب ؛ فهو قد أخلف فكذب ، وهذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدى وسعيد بن جبير <sup>(١)</sup> ، يقول : سوف أتوب ، سوف أتوب، حتى يأتيه على أشرف أحواله ، وقال الضحاك : هو الأمل ، يقول : سوف أعيش وأصيب من الدنيا ، ولا يذكر الموت ، وقيل : أى يعزم على المعصية أبداً وإن كان لا يعيش إلا مدة قليلة ، فالهاء على هذه الأقول للإنسان ، وقيل : الهاء ليوم القيامة ، والمعنى : بل يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي يوم القيامة ، والفجور أصله الميل عن الحق ، ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ أى : متى يوم القيامة .

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ ۚ كَلَّا لَا وَزَرَ ۚ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۚ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ قرأ نافع وأبان عن عاصم: «بَرِقَ» بفتح الراء <sup>(٢)</sup>، معناه: لمع بصره من شدة شخصوه ، فتراه لا يطرف ، قال مجاهد وغيره : هذا عند الموت <sup>(٣)</sup> ، وقال الحسن : هذا يوم القيامة <sup>(٤)</sup> ، وقال فيه معنى الجواب عما سأل عنه الإنسان كأنه قال: يوم القيامة ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ﴾ والباقون بالكسر ﴿بَرِقَ﴾ ومعناه : تحير فلم يطرف ؛ قاله أبو عمرو والزجاج وغيرهما ، قال ذو الرمة :

ولو أن لقمان الحكيم تعرّضت  
لعينيه مئ سافراً كاد يبرق

الفراء والخليل: ﴿بَرِقَ﴾ بالكسر: فزع وبُهِتَ وتحير ، والعرب تقول للإنسان المتحير المبهوت: قد برق فهو يبرق ؛ وأنشد الفراء :

فنفسك فأنع ولا تنعني  
ودأو الكلوم ولا تبرق

أى : لا تفرّج من كثرة الكلوم التى بك ، وقيل : بَرِقَ يَبْرُقُ بالفتح: شق عينيه وفتحهما ، قاله أبو عبيدة ؛ وأنشد قول الكلابي :

لما أتاني ابن عُمير راعياً  
أعطيته عيساً صهاباً فبرق

أى : فتح عينيه ، وقيل : إن كسر الراء وفتحها لغتان بمعنى .

قوله تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أى ذهب ضوءه ، والخسوف فى الدنيا إلى انجلاء وبخلاف الآخرة ؛ فإنه لا يعود ضوءه ، ويحتمل أن يكون بمعنى غاب ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [الفصل: ٦١] وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج: « وَخُسِفَ الْقَمَرُ » يضم الخاء وكسر السين يدل

= وفتح القدير (٧/ ٣٦٣) للشوكاني ، والقصة فى مسند الحارث (٢/ ٨٩٥) من زوائد الهشمي وفيه انقطاع ، وذكره الطبري (٢/ ٥٦٦) من طريق الشعبي ، عن عمر وفيه انقطاع أيضاً .

(١) انظر: الطبري (٢٩/ ١٨٨) فى تفسيره ، وفتح الباري (٦/ ٣٠٠) لابن حجر وعزاه لابن أبي حاتم فى تفسيره من طرق حسنة .

(٢) قراءة متواترة : كما فى الإقناع (٢/ ٧٩٨) .

(٣) صحيح إلى مجاهد : الطبري (٢٩/ ١٩٠) فى تفسيره .

(٤) وأرى هذا هو الصحيح إن شاء الله .

عليه ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ، وقال أبو حاتم محمد بن إدريس : إذا ذهب بعضه فهو الكسوف ، وإذا ذهب كله فهو الخسوف ، ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أى : جمع بينهما فى ذهاب ضوئهما ، فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه ؛ قاله الفراء والزجاج ، قال الفراء : ولم يقل جمعت ؛ لأن المعنى : جمع بينهما ، وقال أبو عبيدة : هو على تغليب المذكر ، وقال الكسائي : هو محمول على المعنى ، كأنه قال الضوءان : المبرد : التأنيث غير حقيقي ، وقال ابن عباس وابن مسعود : جمع بينهما أى قرن بينهما فى طلوعهما من المغرب أسودين مُكُورَيْن مَظْلَمَيْن مَقْرَنَيْن كأنهما ثوران عقيران<sup>(١)</sup> ، وقد مضى الحديث بهذا المعنى فى آخر سورة « الأنعام »<sup>(٢)</sup> ، وفى قراءة عيد الله : « وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ »<sup>(٣)</sup> ، وقال عطاء بن يسار : يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان فى البحر ، فيكونان نار الله الكبرى ، وقال على وابن عباس : يجعلان فى نور الحجب<sup>(٤)</sup> ، وقد يجمعان فى نار جهنم ؛ لأنهما قد عبداً من دون الله ولا تكون النار عذاباً لهما لأنها جماد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبيكت الكافرين وحسرتهم<sup>(٥)</sup> ، وفى مسند أبي داود الطيالسي ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار »<sup>(٦)</sup> . وقيل : هذا الجمع يجتمعان ولا يفترقان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر ؛ فكأن المعنى يجمع حرهما عليهم ، وقيل : يجمع الشمس والقمر ، فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار .

قوله تعالى : ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ؟﴾ أى : يقول ابن آدم ، ويقال : أبو جهل ؛ أى : أين المهرب ؟ قال الشاعر :

أين المفرُّ والكباشُ تَنْتَطِحُ      وأيُّ كَبَشٍ حَادٍ عَنْهَا يَنْتَضِحُ

الماوردي : وحتمل وجهين : أحدهما : ﴿أَيْنَ الْمَفْرُ؟﴾ من الله استحياء منه ، والثاني : ﴿أَيْنَ الْمَفْرُ؟﴾ من جهنم حذراً منها ، ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين : أحدهما : أن يكون من الكافر خاصة فى عرصة القيامة دون المؤمن ؛ لثقة المؤمن ببشرى ربه . الثاني : أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها ، وقراءة العامة : ﴿الْمَفْرُ؟﴾ بفتح الفاء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ؛ لأنه مصدر ، وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بكسر الفاء مع فتح الميم ؛ قال الكسائي : هما لغتان مثل مَدَبَ وَمَدَبَ ، وَمَصَّحَ وَمَصَّحَ ، وعن الزهري بكسر الميم وفتح الفاء ، المهدوي : من فتح الميم والفاء من ﴿الْمَفْرُ؟﴾ فهو مصدر بمعنى الفرار ، ومن فتح الميم وكسر الفاء ، فهو الميم وكسر الفاء فهو الموضع الذى يفر إليه ، ومن كسر الميم وفتح الفاء فهو الإنسان الجيد الفرار ؛

(١) ذكره ابن كثير (٨ / ٢١٦) فى تفسيره ، وألح إليه الطبري (٢٩ / ١٩٠) فى تفسيره .

(٢) عند الآية (١٥٨) .

(٣) قراءة غير متواترة : وذكرها الطبري (٢٩ / ١٩٠) بلفظ : ( فيما ذكر لى ) وهو يفيد الضعف

(٤) وكذا ذكره الألوسي (٢١ / ٤٦٥) فى تفسيره ، وأبو جبان (١٠ / ٣٩٣) فى البحر المحيط .

(٥) هذا كلام الخطابي - رحمه الله - ونقله ، عنه ابن حجر (٦ / ٣٠٠) فى فتح الباري .

(٦) ضعيف جداً : وصح من طريق آخر : أما رواية المصنف فعند الطيالسي (٢١٠٣) فى مسنده بسند فيه يزيد

الرقاشي وهو ضعيف جداً ، وقد رواه البخاري (٣٢٠٠) فى بدء الخلق ، عن أبي هريرة - رضى الله عنه -

بلفظ : « الشمس والقمر مكوران يوم القيامة » .

قال المعنى: أين الإنسان الجيد الفرار، ولن ينجو مع ذلك .

قلت : ومنه قول امرئ القيس :

مَكْرَ مَفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدِيرٍ مَعَا<sup>(١)</sup>

يريد أنه حسن الكرّ والفرّ جيده ، ﴿كَلَّا﴾ أي : لا مفرّ فـ ﴿كَلَّا﴾ ردّ وهو من قول الله تعالى ، ثم فسر هذا الردّ فقال : ﴿لَا وَزَرَ﴾ أي : لا ملجأ من النار ، وكان ابن مسعود يقول : لا حصن<sup>(٢)</sup> ، وكان الحسن يقول : لا جبل<sup>(٣)</sup> ، وابن عباس يقول : لا ملجأ<sup>(٤)</sup> ، وابن جبير : لا محيص ولا منعة<sup>(٥)</sup> .

المعنى : في ذلك كله واحد ، وَالْوَزَرُ في اللغة : ما يلجأ إليه من حصن أو جبل أو غيرهما ؛

قال الشاعر :

لَعَمْرِي مَا لِلْفَتَى مِنْ وَزَرٍ مِنْ الْمَوْتِ يُدْرِكُهُ وَالْكَبِيرِ

قال السدي<sup>(٦)</sup> : كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال ، فقال الله لهم : لا وزر يعصمكم يومئذ مني ؛ قال طرفة :

وَلَقَدْ تَعَلَّمُ بَكْرًا أَنَّنَا فَاضِلُوا الرَّأْيِ وَفِي الرَّوْعِ وَزَرٌ

أي ملجأ للخائف ، ويرى : وقرّ ، ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ أي : المنتهي ؛ قاله قتادة<sup>(٧)</sup> ، نظيره : ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾<sup>(٨)</sup> ، وقال ابن مسعود<sup>(٨)</sup> : إلى ربك المصير والمرجع ، قيل : أي المستقرّ في الآخرة حيث يقرّه الله تعالى ؛ إذ هو الحاكم بينهم ، وقيل : إن ﴿كَلَّا﴾ من قول الإنسان لنفسه إذا علم أنه ليس له مفرّ قال لنفسه : ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾<sup>(٩)</sup> إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ قوله تعالى : ﴿يَبْنَؤُ الْإِنْسَانُ﴾ أي : يخبر ابن آدم برأ كان أو فاجراً ﴿بِمَا قَدَّمْ وَأَخَّرَ﴾ أي : بما أسلف من عمل سيّء أو صالح ، أو أخّر من سنة سيّئة أو صالحة يُعمل بها بعده ، وقاله النخعي ، وقال ابن عباس وابن مسعود<sup>(٩)</sup> . روي منصور ، عن مجاهد<sup>(١٠)</sup> قال : يبنأ بأول عمله وآخره ، وقاله النخعي ، وقال ابن عباس أيضاً : أي بما قدم من المعصية ، وأخّر من الطاعة ، وهو قول قتادة<sup>(١١)</sup> وقال ابن زيد : ﴿بِمَا قَدَّمْ﴾ من أمواله لنفسه ﴿وَأَخَّرَ﴾ : خلف للورثة<sup>(١٢)</sup> ، وقال الضحّاك : يبنأ بما قدّم من فرض ، وأخّر من فرض ، قال القشيري : وهذا الإنباء يكون في القيامة عند وزن الأعمال ، ويجوز أن يكون عند الموت .

قلت : الأوّل أظهر ؛ لما خرجه ابن ماجه في سننه من حديث الزهري ، حدثني أبو عبد الله

(١) صدر بيت ، وعجزه : كَجَلْمُودٍ صَحَرَ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

(٢-٥) كلهم صحاح إلى أصحابهم إلا ابن عباس في السند إليه ضعيف جدا فقد رواه الطبري (٢٩/ ١٩١) من طريق العوفين ، وانظر : الدر المنثور (٦/ ٤٦٦) للسيوطي .

(٦) حسن إليه .

(٧) صحيح إلى قتادة : الطبري (٢٩/ ١٩٣) في تفسيره . (٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٥١) .

(٩) فيه ضعف عن ابن مسعود : فقد حدث عنه زياد ابن أبي مريم وفيه جهالة وانقطاع كما في الميزان (٣/ ١٣٦) وانظر الطبري (٢٩/ ١٩٤) وأثر ابن عباس من طريق العوفين فالإسناد تالف .

(١٠) صحيح إلى مجاهد : انظر : تفسير الطبري (٢٩/ ١٩٤) .

(١١، ١٢) صحيحان إليها .

الأغر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عِلْمَهُ وَنَشْرَهُ ، وَلِدًا صَالِحًا تَرْكَهُ ، أَوْ مَصْحَفًا وَرَثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صَحْتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » (١) ، وخبره أبو نعيم الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « سَبْعٌ يَجْرَى أَجْرُهُنَّ لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ : مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا أَوْ أَجْرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بَشْرًا أَوْ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ بَنَى مَسْجِدًا أَوْ وَرَثَ مَصْحَفًا ، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ » (٢) فقوله : « بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ » نصٌّ على أن ذلك لا يكون عند الموت وإنما يخبر بجميع ذلك عند وزن عمله ، وإن كان يشتر بذلك في قبره ، ودل على هذا أيضًا قوله الحق : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ أَثْقَالَهُمْ ﴾ [المنكوت: ١٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [النحل: ٢٥] ، وهذا لا يكون إلا في الآخرة بعد وزن الأعمال ، والله أعلم .

وفي الصحيح : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً ؛ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأُجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَبَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً ؛ كَانَ عَلَيْهِ وَزَرُهَا وَوَزَرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » (٣) .

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۖ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِرَهُ ﴾

قوله تعالى : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ قال الأخفش : جعله هو البصيرة ، كما تقول للرجل : أنت حجة على نفسك ، وقال ابن عباس (٤) : ﴿ بَصِيرَةٌ ﴾ أى : شاهد ، وهو شهود جوارحه عليه : يداه بما بطش بهما ، ورجلاه بما مشى عليهما ، وعينه بما أبصر بهما ، والبصيرة : الشاهد ، وأنشد الفراء :

كَأَنَّ عَلَى ذِي الْعَقْلِ عَيْنًا بَصِيرَةً      بِمَعْقِدِهِ أَوْ مَنْظَرٍ هُوَ نَاضِرُهُ  
يُحَازِرُ حَتَّى يَحْسِبَ النَّاسَ كُلَّهُمْ      مِنْ الْخَوْفِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِمْ سَرَّائِرُهُ

ودليل هذا التأويل من التنزيل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤] ، وجاء تأنيث البصيرة لأن المراد بالإنسان هاهنا الجوارح ؛ لأنها شاهدة على نفس الإنسان ؛ فكانه قال : بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة ؛ قال معناه القتيبي وغيره ، وناس يقولون : هذه الهاء في قوله : ﴿ بَصِيرَةٌ ﴾ هي التي يسميها أهل الإعراب هاء المبالغة ، كالهاء في قولهم : داهية وعلامة وراوية ، وهو قول أبي عبيدة ، وقيل المراد بالبصيرة : الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شر ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِرَهُ ﴾ فيمن جعل المعاذير الستور ، وهو قول السدي والضحاك (٥) ، وقال بعض أهل التفسير : المعنى : بل على الإنسان من نفسه بصيرة ؛ أي :

(١) حسن : ابن ماجه (٢٤٢) في المقدمة ، وحسن الألباني هناك (ص ٦٠) ، ط - الرياض ، وفي الإرواء (٦ / ٢٩) .

(٢) حسن بالسابق : وانظر : صحيح الجامع (٣٦٠٢) للألباني - رحمه الله ، وصحيح الترغيب (٧٤) له أيضًا .

(٣) صحيح : مسلم (١٠١٧ / ٦٩ ، ٦٩ مكرر - ٧٠ ، ٧١) في الزكاة ، عن جرير - رضي الله عنه .

(٤) ضعيف : الطبري (٢٩ / ١٩٥) من طريق العوفيين وفيها ضعف وجهالة .

(٥) الطبري (٢٩ / ١٩٦) في تفسيره ، وأثر الضحاك رواه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٦ / ٤٦٧) للسيوطي .

شاهد فحذف حرف الجر ، ويجوز أن يكون ﴿بَصِيرَةً﴾ نعتاً لاسم مؤنث فيكون تقديره: بل الإنسان على نفسه عين بصيرة ، وأنشد الفراء :

كَأَنَّ عَلَى ذِي الْعَقْلِ عَيْنًا بِصِيرَةً

وقال الحسن في قوله تعالى : ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ أي: بصيرة بعيوب غيره ، جاهل بعيوب نفسه (١) ، ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ أي: ولو أرخى ستوره ، والستر بلغة أهل اليمن : معذار ؛ قال الضحاک ، وقال الشاعر :

ولكنها ضنّتْ بِمَنْزِلِ سَاعَةٍ عَلَيْنَا وَأَطَّتْ قَوْفَهَا بِالْمَعَاذِرِ

قال الزجاج : المعاذر : الستور ، والواحد معذار ؛ أي: وإن أرخى ستره ؛ يريد أن يخفي عمله ، فنفسه شاهدة عليه ، وقيل : أي ولو اعتذر فقال: لم أفعل شيئاً ، لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه ، فهو وإن اعتذر وجادل عن نفسه ، فعليه شاهد يكذب عنده ؛ قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبیر وعبد الرحمن بن زيد وأبو العالية وعطاء والفراء والسدي أيضاً ومقاتل (٢) ، قال مقاتل : أي لو أدلى بعذر أو حجة لم ينفعه ذلك ، نظيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢] ، وقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المسلات: ٣٦] فالمعاذير على هذا : مأخوذ من العذر ؛ قال الشاعر :

وإياك والأمر الذي إن توسّعتْ مَوَارِدُهُ ضاقتْ عليك المصادِرُ

فما حسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر

واعتذر رجل إلى إبراهيم النخعي ، فقال له : قد عذرتك غير معتذر ، إن المعاذير يشوبها الكذب ، وقال ابن عباس : ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ أي: لو تجرد من ثيابه (٣) ، حكاه الماوردي .

قلت : والأظهر أنه الإدلاء بالحجة والاعتذار من الذنب ، ومنه قول النابغة :

ها إن ذي عذرة إلا تكن نفعته فإن صاحبها مشارك النكد

والدليل على هذا قوله تعالى في الكفار : ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، وقوله تعالى في المنافقين : ﴿يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨] ، وفي الصحيح أنه يقول : « يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك ، وصليت وصمت وتصدقت ، ويشني بخير ما استطاع » الحديث (٤) ، وقد تقدم في « حم السجدة » وغيرها ، والمعاذير والمعاذر : جمع معذرة ؛ ويقال : عذرتة فيما صنع أعذره عذراً وعذراً ، والاسم المعذرة والعذرى ؛ قال الشاعر :

إني حُذِدتُ ولا عُدْرِي لِمَحْدُودٍ

وكذلك العذرة وهي مثل: الركبة والجلسة ؛ قال النابغة :

ها إن تاعذرة إلا تكن نفعته فإن صاحبها قد تاه في البَلَدِ

(١) وكذا رواه قتادة كما في تفسير الطبري (٢٩ / ١٩٥) .

(٢) جمعها الطبري (٢٩ / ١٩٧) في تفسيره .

(٣) ضعيف جداً : الطبري من طريق العوفي (٢٩ / ١٩٦) في تفسيره .

(٤) صحيح : قطعة من حديث مسلم (٢٩٦٨ / ١٦) في الزهد والرقائق ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه .



وتضمنت هذه الآية خمس مسائل :

الأولى : قال القاضي أبو بكر بن العربي <sup>(١)</sup> : قوله تعالى : ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ فيها دليل على قبول إقرار المرء على نفسه ؛ لأنها شهادة منه عليها ؛ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور : ٢٤] ، ولا خلاف فيه ؛ لأنه إخبار على وجه تنتفي التهمة عنه ؛ لأن العاقل لا يكذب على نفسه ، وهى المسألة :

الثانية : وقد قال سبحانه فى كتابه الكريم : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران : ٨١] ، ثم قال تعالى : ﴿وَأَخْرَجُوا عَرَضَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ يَدْعُوا بِهِمْ خُطَاةَ عَمَلِهِمْ فَاذْهَبُوا وَتَذَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة : ١٠٢] ، وهو فى الآثار كثير ؛ قال النبى ﷺ : «واغد يا أنيس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها» <sup>(٢)</sup> ، فأما إقرار الغير على الغير بوارث أو دين فقال مالك : الأمر المجتمع عليه عندنا فى الرجل يهلك وله بنون ، فيقول أحدهم : إن أبى قد أقر أن فلاناً ابنه ، أن ذلك النسب لا يثبت بشهادة إنسان واحد ، ولا يجوز إقرار الذي أقر إلا على نفسه فى حصته من مال أبيه ، يعطى الذي شهد له قدر الدين الذي يصيبه من المال الذي فى يده ، قال مالك : وتفسير ذلك : أن يهلك الرجل ويترك ابنين ويترك ستمائة دينار [ فيأخذ كل واحد منهما ثلاث مائة دينار ] ، ثم يشهد أحدهما بأن أباه الهالك أقر أن فلاناً ابنه ، فيكون على الذي شهد للذي استحق مائة دينار ، وذلك نصف ميراث المستلحق لو لحق ، وإن أقر له الآخر أخذ المائة الأخرى فاستكمل حقه وثبت نسبه ، وهو أيضاً بمنزلة المرأة تقر بالدين على أبيها أو على زوجها وينكر ذلك الورثة ، فعليها أن تدفع إلى الذي أقرت له قدر الذي يصيبها من ذلك الدين لو ثبت على الورثة كلهم ؛ وإن كانت امرأة فورثت الثمن دفعت إلى الغريم ثمن دينه ، وإن كانت ابنة ورثت النصف دفعت إلى الغريم نصف دينه ، على حساب هذا يدفع إليه من أقر له من النساء .

الثالثة : لا يصح الإقرار إلا من مكلف ، لكن بشرط ألا يكون محجوراً عليه ؛ لأن الحجر يسقط قوله : إن كان لحق نفسه ، فإن كان لحق غيره كالمريض كان منه ساقط ، ومنه جائز ، وبيانه فى مسائل الفقه ، وللعبد حالتان فى الإقرار : إحداهما : فى ابتدائه ، ولا خلاف فيه على الوجه المتقدم ، والثانية : فى انتهائه وذلك مثل إيهام الإقرار ، وله صور كثيرة وأمهاتها ست : الصورة الأولى : أن يقول : له عندي شيء ، قال الشافعي : لو فسره بتمرة أو كسرة قبل منه ، والذي تقتضيه أصولنا أنه لا يقبل إلا فيما له قدر ، فإذا فسره به قبل منه وحلف عليه . الصورة الثانية : أن يفسر هذا بخمر أو خنزير أو ما لا يكون مالا فى الشريعة : لم يقبل باتفاق ولو ساعده عليه المقر له . الصورة الثالثة : أن يفسر بمخلف فيه مثل : جلد الميتة أو سارقين أو كلب ، فإن الحاكم يحكم عليه فى ذلك بما يراه من رد وإمضاء فإن رده لم يحكم عليه حاكم آخر غيره بشيء ؛ لأن الحكم قد نفذ بإبطاله ، وقال بعض

(١) انظر : أحكام القرآن (٤/ ١٨٩٠) للقاضي ابن العربي المالكي .

(٢) متفق عليه : قطعة من حديث رواه البخاري (٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨) فى الحدود ، ومسلم (١٦٩٧ ، ١٦٩٨) فى الحدود ، عن أبي هريرة ، وزيد بن خالد الجهنى - رضى الله عنهما .

أصحاب الشافعي : يلزم الخمر والخنزير ؛ وهو قول باطل ، وقال أبو حنيفة : إذا قال له : على شيء لم يقبل تفسيره إلا بمكيل أو موزون ؛ لأنه لا يثبت في الذمة بنفسه إلا هما ، وهذا ضعيف ؛ فإن غيرهما يثبت في الذمة إذا وجب ذلك إجماعاً . الصورة الرابعة : إذا قال له : عندي مال قبل تفسيره بما يكون مالاً في العادة كالدرهم والدرهمين ، ما لم يجرى من قرينة الحال ما يحكم عليه بأكثر منه . الصورة الخامسة : أن يقول له : عندي مال كثير أو عظيم ؛ فقال الشافعي : يقبل في الحبة ، وقال أبو حنيفة : لا يقبل إلا في نصاب الزكاة ، وقال علماؤنا في ذلك أقوالاً مختلفة ، منها نصاب السرقة والزكاة والدية وأقله عندي نصاب السرقة ؛ لأنه لا يبان عضو المسلم إلا في مال عظيم ، وبه قال أكثر الحنفية ، ومن تعجب فليتعجب لقول الليث بن سعد : إنه لا يقبل في أقل من اثنين وسبعين درهماً ، فقيل له : ومن أين تقول ذلك ؟ قال : لأن الله تعالى قال : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [التوبة: ٢٥] ، وغزواته وسراياه كانت اثنتين وسبعين ، وهذا لا يصح ؛ لأنه أخرج حينئذ منها ، وكان حقه أن يقول يقبل في أحد وسبعين ، وقد قال الله تعالى : ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] ، وقال : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ﴾ [النساء: ١١٤] ، وقال : ﴿وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨] . الصورة السادسة : إذا قال له : عندي عشرة أو مائة أو ألف ، فإنه يفسرها بما شاء ويقبل منه ، فإن قال : ألف درهم أو مائة وعبد أو مائة وخمسون درهماً فإنه يفسر المبهم ويقبل منه ، وبه قال الشافعي ، وقال أبو حنيفة : إن عطف على العدد المبهم مكيلاً أو موزوناً كان تفسيراً ؛ كقوله : مائة وخمسون درهماً ؛ لأن الدرهم تفسير للخمسين والخمسين تفسير للمائة ، وقال ابن خيران الإصطخرى من أصحاب الشافعي : الدرهم لا يكون تفسيراً في المائة والخمسين إلا للخمسين خاصة ويفسر هو المائة بما شاء .

المسألة الرابعة : قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ ومعناه لو اعتذار بعد الإقرار لم يقبل منه ، وقد اختلف العلماء فيمن رجع بعد ما أقر في الحدود التي هي خالص حق الله ؛ فقال أكثرهم منهم الشافعي وأبو حنيفة : يقبل رجوعه بعد الإقرار ، وقال به مالك في أحد قولي ، وقال في القول الآخر : لا يقبل إلا أن يذكر لرجوعه وجهاً صحيحاً ، والصحيح جواز الرجوع مطلقاً ؛ لما روى الأئمة منهم البخاري ومسلم أن النبي ﷺ رد المقر بالزنا مراراً أربعاً ، كل مرة يعرض عنه ، ولما شهد على نفسه أربع مرات دعاه النبي ﷺ ، وقال : «أبك جنون ؟» ، قال : لا ، قال : «أحصنت ؟» قال : نعم <sup>(١)</sup> وفي حديث البخاري : «لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت» <sup>(٢)</sup> وفي النسائي وأبي داود : حتى قال له في الخامسة «أنكتهما ؟» قال : نعم ، قال : «حتى غاب ذلك منك في ذلك منها» قال : نعم ، قال : «كما يغيب المروء في المكحلة والرشاء في البئر» ، قال : نعم ، ثم قال : «هل تدري ما الزنا» قال : نعم ؛ أتيت منها حراماً مثل ما يأتي الرجل من أهله حلالاً ، قال : «فما تريد مني بهذا القول ؟» قال : أريد أن تطهرني . قال : فأمر به فرجم ، قال الترمذي وأبو داود : فلما وجد مس الحجارة فرشت ، فضربه رجل بلحي جمل ، وضربه الناس حتى مات ، فقال النبي ﷺ : «هلا تركتموه» ، وقال أبو داود والنسائي : لبتثبت رسول الله ﷺ فأما لتترك حد فلا <sup>(٣)</sup> وهذا كله

(١ - ٣) متفق عليه : البخاري (٥٢٧١ ، ٦٨٢٥) في الحدود ، ومسلم (١٦٩١ / ١٦) في الحدود ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه ، وأبو داود (٢٤٢٧) في الحدود ، والترمذي (١٤٢٨) في الحدود ، والنسائي (٧١٦٣) في الكرى ، والمروء : الميل الذي يكتحل به . اللسان : رود ، والرشاء : الحيل . اللسان : رشاء .

طريق للرجوع وتصريح بقبوله ، وفى قوله عليه الصلاة والسلام : « لعلك قبلت أو غمزت » إشارة إلى قول مالك : إنه يقبل رجوعه إذا ذكر وجهها .

الخامسة : وهذا فى الحر المالك لأمر نفسه ، فأما العبد ، فإن إقراره لا يخلو من أحد قسمين : إما أن يقر على بدنه ، أو على ما فى يده وذمته ، فإن أقر على بدنه فيما فيه عقوبة من القتل نفذ ذلك عليه ، وقال محمد بن الحسن : لا يقبل ذلك منه ؛ لأن بدنه مستغرق لحق السيد ، وفى إقراره إتلاف حقوق السيد فى بدنه ، ودليلاً قوله ﷺ : « من أصاب من هذه القادورات شيئاً فليستتر بستر الله ، فإن من يبد لنا صفحته نقم عليه الحد » <sup>(١)</sup> المعنى : أن محل العقوبة أصل الخلقة ، وهى الدمية فى الآدمية ، ولا حق للسيد فيها ، وإنما حقه فى الوصف والتبعية ، وهى المالية الطارئة عليه ؛ ألا ترى أنه لو أقر بمال لم يقبل ، حتى قال أبو حنيفة : إنه لو قال : سرق هذه السلعة إنه لم تقطع يده ويأخذها المقر له ، وقال علماؤنا : السلعة للسيد ويبيع العبد بقيمتها إذا عتق ؛ لأن مال العبد للسيد إجماعاً ، فلا يقبل قوله فيه ولا إقراره عليه ، لا سيما وأبو حنيفة يقول : إن العبد لا ملك له ، ولا يصح أن يملك ولا يملك ونحن وإن قلنا : إنه يصح تملكه ، ولكن جميع ما فى يده لسيد به إجماع على القولين ، والله أعلم .

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ ١٠٠ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ١٠١ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ١٠٢ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا نِزْلَهُ ١٠٣ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ١٠٤ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ١٠٥ ﴿

وقوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ فى الترمذي : عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه ، يريد أن يحفظه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ ، قال : فكان يحرك به شفثيه <sup>(٢)</sup> ، وحرك سفيان شفثيه ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، ولفظ مسلم عن ابن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، كان يحرك شفثيه ، فقال لى ابن عباس : أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركهما ؛ فقال سعيد : أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما ، فحرك شفثيه ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ ١٠٠ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ١٠١ ، قال : جمعه فى صدرك ثم تقرأه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ، قال : فاستمع له وأنصت ، ثم علينا أن نقرأه ؛ قال : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليهما السلام استمع ، وإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي ﷺ كما أقرأه ، خرجه البخارى أيضاً <sup>(٣)</sup> ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [طه : ١١٤] ، وقد تقدم ، وقال عامر الشعبي <sup>(٤)</sup> : إنما كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من

(١) صحيح : صححه الألبانى بنحوه (١٤٩) فى صحيح الجامع من رواية الحاكم ، والبيهقى ، عن ابن عمر - رضى الله عنهما .

(٢) (٣) متفق عليه : البخارى (٥) فى بدء الوحي ، و(٤٩٢٧-٤٩٢٩) فى التفسير ، (٧٤٣٥) فى التوحيد ، ومسلم (٤٤٨ / ١٤٧) فى الصلاة ، والترمذي فى التفسير (٣٣٢٩) .

(٤) هذا مرسل وهو حسن إلى الشعبي : الطبري (٢٩ / ١٩٨) فى تفسيره .

حبه له وحلاوته في لسانه ، فنهى عن ذلك حتى يجتمع ؛ لأن بعضه مرتبط ببعض ، وقيل : كان عليه السلام إذا نزل عليه الوحي حرك لسانه مع الوحي مخافة أن ينساه ، فنزلت : ﴿وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤] ونزل ﴿سُتْقِرَّتْكَ فَلَا تَسَىٰ﴾ [الاعلى: ٦] ونزل : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ ، قاله ابن عباس <sup>(١)</sup> ، ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أى قراءته عليك ، والقراءة والقرآن في قول الفراء مصدران ، وقال قتادة <sup>(٢)</sup> : ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أى فاتبع شرائعه وأحكامه ، وقوله : ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانٌ مَا فِيهِ مِنْ الْخُدُودِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ﴾ ، قاله قتادة ، وقيل : ثم إن علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وتحققهما ، وقيل : أى إن علينا أن نبينه بلسانك .

قوله تعالى : ﴿كَلَّا﴾ قال ابن عباس <sup>(٣)</sup> : أى : إن أبا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه ، وقيل : أى : ﴿كَلَّا﴾ لا يصلون ولا يركون يريد كفار مكة ، ﴿بَلْ تُحِبُّونَ﴾ أى : بل تحبون يا كفار أهل مكة ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أى : الدار الدنيا والحياة فيها ﴿وَتَذَرُونَ﴾ أى : تدعون ﴿الْآخِرَةَ﴾ والعمل لها ، وفي بعض التفسير ، قال : الآخرة : الجنة ، وقرأ أهل المدينة الكوفيون ﴿بَلْ تُحِبُّونَ﴾ ﴿وَتَذَرُونَ﴾ بالتاء فيهما على الخطاب واختاره أبو عبيد ، قال : ولولا الكراهة لخلاف هؤلاء القراء لقراءتها بالياء ؛ لذكر الإنسان قبل ذلك الباقي بالياء على الخبر <sup>(٤)</sup> ، وهو اختيار أبي حاتم ، فمن قرأ بالياء فرداً على قوله تعالى : ﴿يَبْنِي الْإِنْسَانَ﴾ وهو بمعنى الناس ، ومن قرأ بالتاء فعلى أنه واجههم بالتفريع ؛ لأن ذلك أبلغ في المقصود ؛ نظيره : ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ يَحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧] .

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۖ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ ۖ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۖ﴾

قوله تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إلى ربها ناظرة ﴿الاول: من النضرة التي هي الحسن والنعمة ، والثاني: من النظر أى : وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة ، يقال : نضرم الله ينضرمهم نضرة ونضاره وهو الإشراف والعيش والغنى ؛ ومنه الحديث : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها » (٥) ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ إلى خالقها ومالكها ﴿نَاظِرَةٌ﴾ أى : تنظر إلى ربها على هذا جمهور العلماء ، وفي الباب حديث صهيب خرج مسلم وقد مضى في « يونس » عند قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ، وكان ابن عمر يقول : أكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ؛ ثم تلا هذه الآية : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إلى ربها ناظرة ، وروى يزيد النحوى عن عكرمة قال : تنظر إلى ربها نظراً ، وكان الحسن يقول : نضرت وجوههم ونظروا إلى ربهم <sup>(٦)</sup> .

(١) صحيح : انظر : قبل السابق ، وإن كان الطبري قد رواه من طريق آخر ، عن ابن حميد وهو إسناد ضعيف .

(٢) صحيح إلى قتادة : الطبري (٢٩ / ٢٠٠) في تفسيره ورجحه الطبري : في تفسيره .

(٣) معنى غريب ولا أراه يصح ، وانظر : الطبري (٢٩ / ٢١٢) ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٤) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص ١٨٤) .

(٥) صحيح : وقد سبق تخريجه ، ورواه ابن ماجه (٢٣٠) في المقدمة ، عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه ، وأحمد

(١ / ٤٣٧) في المسند .

(٦) صحيح إلى عكرمة : الطبري (٢٩ / ٢٠٢ ، ٢٠٣) في تفسيره .

وقيل : إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب ، وروى عن ابن عمر ومجاهد (١) ، وقال عكرمة : تنتظر أمر ربها (٢) ، حكاه الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضاً ، وليس معروفاً إلا عن مجاهد وحده (٣) ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وهذا القول ضعيف جداً ، خارج عن مقتضى ظاهر الآية والأخبار ، وفي الترمذي عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية » ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ، قال : هذا حديث غريب وقد روى عن ابن عمر ولم يرفعه (٤) ، وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم جل وعز إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » (٥) ، وروى جرير بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله ﷺ جلوساً ، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ؛ فإن استطعتم إلا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ، ثم قرأ : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ متفق عليه (٦) ، وخرجه أيضاً أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وخرج أبو داود عن أبي رزين العقيلي ، قال : قلت : يا رسول الله أكلنا يرى ربه ؟ قال ابن معاذ : مخلياً به يوم القيامة ؟ قال : « نعم يا أبا رزين » قال : وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : « يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر » قال ابن معاذ : ليلة البدر مخلياً به ، قلنا : بلى ، قال : « فالله أعظم » ، قال ابن معاذ : قال : « إنما هو خلق من خلق الله ، يعني القمر - فالله أجل وأعظم » (٧) ، وفي كتاب النسائي عن صهيب ، قال : « فيكشف الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر ، ولا أقر لأعينهم » (٨) وفي التفسير لأبي إسحاق الثعلبي عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « يتجلى ربنا عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه ، فيخرون له سجداً ، فيقول : ارفعوا رؤوسكم ، فليس هذا بيوم عبادة » (٩) قال الثعلبي : وقول مجاهد : إنها بمعنى : تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شيء من خلقه ، فتأويل مدخول ؛ لأن العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا : نظرت به ، كما قال تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ [الزخرف: ٦٦] ، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] ، و﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٤٩]

(١ - ٣) معنى بعيد ومخالف لعقيدة السلف : انظر : الطبري (٢٩ / ٢٠٣) وضعف المصنف هذا الكلام .

(٤) ضعيف : الترمذي (٣٣٣٠ ، ٣٣٣٠ مكرر في التفسير ، وضعفه الألباني (١٩٨٥) في الضعيفة ، ورجح الترمذي وقفه وإن كان ضعيفاً موقوفاً أيضاً .

(٥) متفق عليه : البخاري (٤٨٧٨) في التفسير ، ومسلم (١٨٠) في الإيمان .

(٦) صحيح : البخاري (٥٥٤) في مواقيت الصلاة ، ومسلم (٦٣٣) في المساجد ومواضع الصلاة .

(٧) حسن : أبو داود (٧٣١) في السنة ، وابن ماجه (١٨٠) في المقدمة .

(٨) صحيح : مسلم (١٨١) في الإيمان ، والترمذي (٢٥٥٢) في الجنة ، والنسائي (٧٧٦٦) في الكبرى .

(٩) ضعيف : الدارقطني حديث رقم (٦٢) في الرؤية ط مكتبة القرآن - وسنده ضعيف .

وإذا أرادت به التفكير والتدبر قالوا : نظرت فيه ، فأما إذا كان النظر مقروناً . بذكر إلى ، وذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان ، وقال الأزهري : إن قول مجاهد : تنتظر ثواب ربها خطأ ؛ لأن لا يقال : نظر إلى كذا ، بمعنى الانتظار ، وإن قول القائل : نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين ، كذلك تقوله العرب ؛ لأنهم يقولون : نظرت إليه : إذا أرادوا نظر العين ، فإذا أرادوا الانتظار قالوا : نظرت<sup>(١)</sup> ، قال :

فَإِنِّكُمْ إِن تَنْظُرَانِي سَاعَةً مِّنَ الدَّهْرِ تَفْعَلَنِي لَدَى أُمَّ جَنْدَبٍ

لما أراد الانتظار قال : تنظراني ، ولم يقل : تنظران إلى ؛ وإذا أرادوا نظر العين ، قالوا : نظرت

إليه ؛ قال :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَالٍ

وقال آخر :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِّن مِّنِي وَلِي نَظَرٌ لِّوَلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ

وقال آخر :

إِنِّي إِلَيْكَ لِمَا وَعَدْتَ لَنَظُرٌ نَّظَرُ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُسِيرِ

أى : إني أنظر إليك بذل ؛ لأن نظر الذل والخضوع أرق لقلب المسؤول ؛ فإما ما استدلوا به من قوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فإنما ذلك فى الدنيا ، وقد مضى القول فيه فى موضعه مستوفى<sup>(٢)</sup> ، وقال عطية العوفى : ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته ، ونظره يحيط بهم ؛ يدل عليه : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال القشيري أبو نصر : وقيل « ألى » واحد الآلاء : أى : نعمه منتظرة ، وهذا أيضاً باطل ؛ لأن واحد الآلاء يكتب بالآلف لا بالياء ، ثم الآلاء : نعمة الدفع ، وهم فى الجنة لا ينتظرون دفع نعمه عنهم ، والمتنظر للشئ متغص العيش ، فلا يوصف أهل الجنة بذلك ، وقيل : أضاف النظر إلى الوجه ؛ لأن العين فى الوجه ، وهو كقوله تعالى : ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١١٩] والماء يجرى فى النهر ، لا النهر ، ثم قد يذكر الوجه بمعنى : العين ؛ قال الله تعالى : ﴿فَالْقُوَّةُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣] أى :

(١) وعقيدة السلف فى النظر لخصها الأئمة فقالوا : المؤمنون يرون ربهم عياناً يوم القيامة بأبصارهم ، كما يرون الشمس صحوً ليس دونها سحب ، أو كما يرون القمر ليلة البدر ، يرونه سبحانه فى عرصات القيامة - يعنى فى أماكنها الفسيحة الواسعة - كما قال تعالى عن المكذبين بيوم الدين : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] ، ثم يرونه كذلك بعد دخول الجنة ، وأما الكافرون فلا يرون ربهم مطلقاً ، وقيل : يرونه ، لكن رؤيا غضب وعقوبة ، ولكن ظاهر الأدلة يدل على أنهم لا يرونه سبحانه بقوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ، وأما المنافقون فإنهم يرون الله تعالى فى عرصات القيامة ، ثم يحتجب عنهم ولا يرونه بعد ذلك . ورؤية المؤمنين لله تعالى كما شاء سبحانه فى كيفية رؤياه ، وكما يشاء فى زمن رؤيتهم إياه - يعنى على الوجه الذى يشاء سبحانه بكيفية لا يعلمها إلا هو عز وجل . ( شرح الواسطية - لابن عثيمين - رحمه الله ص ٣٠٠ ، ٣٠١ بتصرف .

(٢) انظر : سورة الأنعام الآية (١٠٣) .

على عينيه ، ثم لا يبعد قلب العادة غداً ، حتى يخلق الرؤية والنظر فى الوجه ؛ وهو كقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَمَسُّ مَكْبَأَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [الملك: ٢٢] فقيل : يا رسول الله ! كيف يمشون فى النار على وجوههم ؟ قال : « الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم <sup>(١)</sup> » ، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أى : وجوه الكفار يوم القيامة كالحة كاسفة عابسة ، وفى الصحاح : وبسر الفحل الناقة وابتسرها : إذا ضربها من غير ضبعة ، وبسر الرجل وجهه بسوراً أى : كلع : يقال : عبس وبسر ، وقال السدى : ﴿بَاسِرَةٌ﴾ أى : متغيرة والمعنى واحد ، ﴿تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أى : توقن وتعلم ، والفاقرة : الداهية والأمر العظيم ؛ يقال : فقرته الفاقة : أى : كسرت فقار ظهره ، قال معناه مجاهد وغيره ، وقال قتادة : الفاقة : الشر ، والسدى : الهلاك ، وابن عباس وابن زيد : دخول النار <sup>(٢)</sup> ، والمعنى متقارب ، وأصلها الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى يخلص إلى العظم ؛ قاله الأصمعي ، يقال : فقرت أنف البعير : إذا حززته بحديدة ، ثم جعلت على موضع الحز الجريز <sup>(٣)</sup> ، وعليه وتر ملوى ، لتذلل به بذلك وتروضه ؛ ومنه قولهم : قد عمل به الفاقة ، وقال النابغة :  
أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي      وَضَرْبُهُ فَأُسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَةٌ  
أى : كاسرة .

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ وقيل من راقٍ ﴿وظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ وَالتَّفَّتِ أَسَاقُ بِالسَّاقِ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾

قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ ردع وزجر ؛ أى : بعيد أن يؤمن الكافر بيوم القيامة ، ثم استأنف ، فقال : ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ أى بلغت النفس أو الروح التراقي ، فأخبر عما لم يجر له ذكر ، لعلم المخاطب به ؛ كقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] ، وقوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] وقد تقدم ، وقيل : ﴿كَلَّا﴾ معناه حقاً ؛ أى : حقاً أن المساق إلى الله ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ أى : إذا ارتقت النفس إلى التراقي ، وكان ابن عباس يقول : إذا بلغت نفس الكافر التراقي <sup>(٤)</sup> والتراقي : جمع ترقوة : وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر ، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر ، موضع الحشجة ؛ قال دريد ابن الصمة .

وَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعَتْ عَنْهُمْ      وَقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقِيَ

وقد يكتفى عن الإشفاء <sup>(٥)</sup> على الموت ببلوغ النفس التراقي ، والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند

(١) متفق عليه : البخاري (٤٧٦٠) في التفسير ، ومسلم (٢٨٠٦ / ٥٤) في صفات المنافقين ، عن أنس - رضي الله عنه .

(٢) كذا عند الطبري (٢٩ / ٢٠٥) في تفسيره .

(٣) الجريز : جبل الزمام ، وقيل : جبل من آدم يخطم به البعير اللسان « جر » .

(٤) ضعيف : بنحوه عند الطبري (٢٩ / ٢٠٥) في تفسيره ، وفيه أبو هشام وهو الرفاعي : ليس بالقوى .

(٥) الإشفاء : يقال أشفى على الشيء : أشرف عليه ؛ كقولهم : أشفى المريض على الموت ( مختار الصحاح (ص ١٤٤) .

نزول الموت .

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ اختلف فيه ؛ ف قيل : هو من الرقية ؛ وروى ميمون عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما (١) . روى سماك عن عكرمة قال : من راقٍ يرقى : أي : يشفى (٢) ، وروى ميمون ابن مهران عن ابن عباس : أي : هل من طبيب يشفيه ، وقاله أبو قلابة وقادة (٣) ؛ وقال الشاعر :

هَلْ لِّلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ رَاقٍ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقٍ

وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس ؛ أي : من يقدر أن يرقى من الموت ، وعن ابن عباس أيضاً وأبي الجوزاء أنه من رقى يرقى : إذا صعد ، والمعنى : من يرقى بروحه إلى السماء ؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ وقيل : إن ملك الموت يقول : من راق ؟ أي : من يرقى بهذه النفس ، وذلك أن نفس الكافر تكره الملائكة قريبها ، فيقول ملك الموت : يا فلان أصعد بها ، وأظهر عاصم وقوم : النون في قوله تعالى: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ واللام في قوله: ﴿بَلْ رَانَ﴾ لثلاث يشبه مرآق وهو بائع المرقعة ، وبرآن في تشية البر ، والصحيح ترك الإظهار ، وكسرة القاف في ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ ، وفتحة النون في ﴿بَلْ رَانَ﴾ كفى في زوال اللبس ، وأمثلة مما ذكر : قصد الوقف على ﴿مَنْ﴾ و ﴿بَلْ﴾ ، فأظهرهما ؛ قاله القشيري . قوله تعالى : ﴿وَوَظَنَ﴾ أي : أيقن الإنسان ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي : فراق الدنيا والأهل والمال والولد ، وذلك حين عاين الملائكة ، وقال الشاعر :

فَرَّاقٌ لَيْسَ يُشَبِّهُهُ فِرَاقُ قَدْ انْقَطَعَ الرَّجَاءُ عَنِ التَّلَاقِ

﴿وَالْتَفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أي : فاتفقت الشدة بالشدة ؛ شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة ؛ قاله ابن عباس والحسن وغيرهما (٤) ، وقال الشعبي وغيره : المعنى التفت ساقا الإنسان عند الموت من شدة الكرب (٥) ، وقال قتادة : أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجله على الأخرى (٦) ، وقال سعيد بن المسيب والحسن أيضاً : هما ساقا الإنسان إذا التفتا في الكفن (٧) ، وقال زيد بن أسلم : التفت ساق الكفن بساق الميت (٨) ، وقال الحسن أيضاً : ماتت رجلاه ويبست ساقاه فلم تحملاه ، ولقد كان عليهما جوالا (٩) ، قال النحاس : القول الأول أحسنها ، وروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَالْتَفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ قال : آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة ، فالتفتي

(١) أما قول عكرمة فهو عن سماك وفيه اضطراب ، وانظر : الطبري (٢٩ / ٢٠٥) . وقول ابن عباس رواه ابن أبي حاتم بسند فيه روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي ، يروى الموضوعات عن الثقات ؛ لا تحل الرواية عنه .

(٢) انظر السابق كما في الميزان (٣ / ١٩١) وانظر : تفسير ابن كثير (٨ / ٢٢١) .

(٣) صحيح إلهما : الطبري (٢٩ / ٢٠٦) في تفسيره .

(٤) أما قول ابن عباس فضعيف فهو من طريق العوفيين .

وقول الحسن إليه صحيح ورواهما الطبري (٢٩ / ٢٠٧) في تفسيره ، واختاره الطبري .

(٥) حسن إليه : الطبري (٢٧ / ٢٠٩) في تفسيره .

(٦) حسن إليه : السابق (٢٧ / ٢٠٩) في تفسيره .

(٧) حسن : وفيه بشير بن المهاجر تكلم فيه أحمد ، وأبو حاتم ، وابن عدي ووثقه ابن معين ، وانظر : الطبري (٢٩ / ٢٠٨) .

(٨) رواه الطبري عن ابن زيد كما في تفسيره (٢٩ / ٢٠٩) .

(٩) إنما وجدته عن قتادة بسند صحيح إليه كما في تفسير الطبري (٢٩ / ٢٠٩) .



بالشدّة إلا من رحمه الله ؛ أي: شدّة كرب الموت بشدّة هول المطلع ؛ والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (١) ، وقال مجاهد : بلاء بلاء (٢) ، يقول : تتابعت عليه الشدائد ، وقال الضحاك وابن زيد (٣) : اجتمع عليه أمران شديدان : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه ، والعرب لا تذكر الساق إلا في المحن والشدائد العظام ؛ ومنه قولهم : قامت الدنيا على ساق ، وقامت الحرب على ساق ، قال الشاعر :

وقامت الحربُ بنا على ساق

وقد مضى هذا المعنى في آخر سورة «ن والقلم» (٤) وقال قوم : الكافر تعذب روحه عند خروج نفسه ، فهذه الساق الأولى ، ثم يكون بعدها ساق البعث وشدائده ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي : إلى خالقك ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي : يوم القيامة ﴿الْمَسَاقُ﴾ أي : المرجع ، وفي بعض التفسيرات قال : يسوقه ملكه الذي كان يحفظ عليه السيئات ، والمساق : المصدر من ساق يسوق ، كالمقال من قال يقول .

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ۚ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِ ۖ ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِ ۖ

قوله تعالى : ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ أي : لم يصدق أبو جهل ولم يصل ، وقيل : يرجع هذا إلى الإنسان في أوّل السورة ، وهو اسم جنس ، والأول قول ابن عباس (٥) ، أي : لم يصدق بالرسالة ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ ودعا لربه ، وصلى على رسوله ، وقال قتادة (٦) : فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله ، وقيل : ولا صدق بمال له ذُخراً له عند الله ، ولا صلى الصلوات التي أمره الله بها ، وقيل : فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه ، قال الكسائي : « لا » بمعنى لم ولكنه يقرن بغيره ؛ تقول العرب : لا عبد الله خارج ولا فلان ، ولا تقول : مررت برجل لا محسن حتى يقال ولا مجمل ، وقوله تعالى : ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] ليس من هذا القبيل ؛ لأن معناه أفلا اقتحم ؛ أي : فهلا اقتحم ، فحذف ألف الاستفهام ، وقال الأخفش : ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ أي : لم يصدق ؛ كقوله : « فلا اقتحم » أي : لم يقتحم ، ولم يشترط أن يعقبه بشيء آخر ، والعرب تقول : لا ذهب ، أي لم يذهب ، فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل ؛ ومنه قول زهير :

فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ

قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي : كذب بالقرآن ، وتولى عن الإيمان ، ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ أي : يتبختر ، افتخاراً بذلك ؛ قاله مجاهد وغيره (٧) مجاهد : المراد به أبو جهل (٨) ،

(١) منقطع : بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس - رضي الله عنهما ، وانظر : تفسير ابن كثير (٨ / ٢٢١) .

(٢) كذا عند الطبري (٢٩ / ٢١٠) في تفسيره .

(٣) ضعيف إلى الضحاك : في إسناده ( يحيى بن يمان ) كما عند الطبري (٢٩ / ١٠٧) وقد ضعف الأئمة يحيى كما قال ابن معين والنسائي ، وانظر : الميزان (٧ / ٢٣٠) .

(٤) انظر : الآية (٤٢) من سورة القلم .

(٥) أما نسبته لأبي جهل ففيه إسناده صحيح كما عند ابن كثير (٨ / ٢٢٢) وسيأتي .

(٦) صحيح إلى قتادة : الطبري (٢٩ / ٢١٠) في تفسيره .

(٧) ضعيف : فيه موسى بن عبيدة وهو الرّبّذي : ضعيف جداً ، وذكره الطبري (٢٩ / ٢١١) في تفسيره .

(٨) صحيح إلى مجاهد : انظر : الطبري (٢٩ / ٢١١) .

وقيل: ﴿يَتَمَطَّى﴾ من المطا وهو الظهر، والمعنى: يلوى مطاء، وقيل: أصله يتمطط، وهو التمدد من التكسل والتشاغل، فهو يتشاغل عن الداعى إلى الحق، فأبدله من الطاء ياء كراهة التضعيف، والتمطى يدل على قلة الاكتراث، وهو التمدد، كأنه يمد ظهره ويلويه من التبخر، والمطيطه: الماء الخائر فى أسفل الحوض؛ لأنه يتمطى أي: يتمدد؛ وفى الخبر: «إذا مشت أمتى الميطياء وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم»<sup>(١)</sup>، والميطياء: التبخر ومد اليدين فى المشى، قوله تعالى: ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾: تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد أى: فهو وعيد أربعة لأربعة؛ كما روى أنها نزلت فى أبي جهل الجاهل بربه<sup>(٢)</sup> فقال: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ أي: لا صدق رسول الله، ولا وقف بين يدي فصلى، ولكن كذب رسولى، وتولى عن التصلة بين يدي، فترك التصديق خصلة، والتكذيب خصلة، وترك الصلاة خصلة، والتولى عن الله تعالى خصلة، فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربعة، والله أعلم، لا يقال: فإن قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ خصلة خامسة؛ فإننا نقول: تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولى، فأخبر عنها، وذلك بين في قول قتادة على ما نذكره، وقيل: إن رسول الله ﷺ خرج من المسجد ذات يوم فاستقبله أبو جهل على باب المسجد، مما يلى باب بنى مخزوم، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، فهزه مرة أو مرتين ثم قال: ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾ فقال له أبو جهل: أتهددنى؟ فوالله إني لأعز أهل الوادي وأكرمه، ونزل على رسول الله ﷺ كما قال لأبي جهل<sup>(٣)</sup> وهي كلمة وعيد، قال الشاعر:

فَأَوَّلَىٰ ثُمَّ أَوَّلَىٰ ثُمَّ أَوَّلَىٰ      وَهَلْ لِلدَّرِّ يُحْلَبُ مِنْ مَرَدٍّ

قال قتادة: أقبل أبو جهل بن هشام يتبخر، فأخذ النبي ﷺ بيده فقال: «أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ»، فقال: ما تستطيع أنت ولا ربك لى شيئاً، إني لأعز من بين جليليها، فلما كان يوم يدر أشرف على المسلمين فقال: لا يعبد الله بعد هذا اليوم أبداً فضرب الله عنقه، وقتله شر قتله،<sup>(٤)</sup> وقيل: معناه: الويل لك؛ ومنه قول الخنساء:

هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلِّ الْهُمُومِ      فَأَوَّلَىٰ لِنَفْسِي أَوَّلَىٰ لَهَا  
سَأَحْمِلُ نَفْسِي عَلَىٰ آلَةٍ      فِيمَا عَلَيْهَا وَإِمَّا لَهَا

الآلة: الحالة، والآلة: السرير أيضاً الذي يحمل عليه الميت، وعلى هذا التأويل قيل: هو من المقلوب؛ كأنه قيل: أويل، ثم أخر الحرف المعتل، والمعنى: الويل لك حياً، والويل لك ميتاً، والويل لك يوم البعث، والويل لك يوم تدخل النار، وهذا التكرير كما قال:

لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي

أي: لك الويل، ثم الويل، ثم الويل، وضعف هذا القول، وقيل: معناه الذم لك أولى من تركه، إلا أنه كثير في الكلام فحذف، وقيل: المعنى أنت أولى وأجدر بهذا العذاب، وقال أبو

(١) صحيح: الترمذي (٢٢٦١) في الفتن، عن ابن عمر - رضي الله عنهما، وصححه الألباني (٢٢٦١)، ٢٢٦١ مكرر (هناك، و(٩٥٤) في الصحيحة.

(٢، ٣) سيأتي تخريجه وانظر الطبري (٢٩/ ٢١٠).

(٤) مرسل: الطبري (٢٩/ ٢١١، ٢١٢)، وعبد الرزاق (٣٤١٩) في تفسيره.

العباس أحمد بن يحيى : قال الأصمعي ﴿أَوَّلَى﴾ في كلام العرب معناه : مقارنة الهلاك ، كأنه يقول : قد وليت الهلاك ، وقد دانيت الهلاك ؛ وأصله من الولى ، وهو القرب ؛ قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٢٢) [التوبة] أي : يقربون منكم ، وأنشد الأصمعي :

وَأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْوَلَاءُ

أي : قارب أن يكون له ؛ وأنشد أيضاً :

أَوَّلَى لِمَنْ هَاجَتْ لَهُ أَنْ يَكْمَدَا

أي : قد دنا صاحبها من الكمد ، وكان أبو العباس ثعلب يستحسن قول الأصمعي ، ويقول : ليس أحد يفسر كتفسير الأصمعي . النحاس : العرب تقول : أولى لك : كدت تهلك ثم أفلت ، وكأن تقديره : أولى لك وأولى بك الهلكة . المهدوى قال : ولا تكون أولى أفعلى منك ، وتكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : الوعيد أولى له من غيره ؛ لأن أبا زيد قد حكى : أولاة الآن : إذا أوعدوا ، فدخل علامة التانيث دليل على أنه ليس كذلك ، و﴿لَكَ﴾ خبر عن ﴿أَوَّلَى﴾ ، ولم يتصرف ﴿أَوَّلَى﴾ لأنه صار علماً للوعيد ، فصار كرجل اسمه أحمد ، وقيل : التكرير فيه على معنى الذم لك على عملك السيئ الأول ، ثم على الثانى والثالث ، والرابع ، كما تقدم .

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾  
فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُجِئِيَ الْمَوْتَى﴾ ﴿

قوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ أى يظن ابن آدم ﴿أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ أى : أن يخلى مهملاً ، فلا يؤمر ولا ينهى ؛ قاله ابن زيد ومجاهد (١) ، ومنه إبل سدى : ترعى بلا راع ، وقيل : أيحسب أن يترك فى قبره كذلك أبداً لا يبعث .

وقال الشاعر :

فَأَقْسَمُ بِاللَّهِ جَهْدَ الْيَمِينِ مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً سُدًى

قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى﴾ أى : من قطرة ماء تمنى فى الرحم ، أى : تراق فيه ؛ ولذلك سميت منى لإراقة الدماء ، وقد تقدم ، والنطفة : الماء القليل ؛ يقال : نطف الماء : إذا قطر ، أى ألم يك ماء قليلاً فى صلب الرجل وترائب المرأة ، وقرأ حفص « من منى يمنى » بالياء وهى قراءة ابن محيصن ومجاهد ويعقوب وعياش عن أبي عمرو ، واختاره أبو عبيد لأجل المنى ، الباقون بالتاء (٢) لأجل النطفة ، واختاره أبو حاتم ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً﴾ أى دما بعد النطفة ، أى : قد نبه تعالى بهذا كله على خسة قدره ، ثم قال : ﴿فَخَلَقَ﴾ أى : فقدر ، ﴿فَسَوَّى﴾ أى : فسواه تسوية ، وعدله تعديلاً ، بجعل الروح فيه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أى : من الإنسان ، وقيل : من المنى ، ﴿الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ أى : الرجل

(١) صحيح إلهما : الطبري (٢٩ / ٢١٢ ، ٢١٣) فى تفسيره .

(٢) قراءة متواترة : كما فى تقريب النشر (ص ١٨٥) .

والمرأة ، وقد احتج بهذا من رأى إسقاط الخنثي ، وقد مضى في سورة « الشورى » (١) أن هذه الآية وقريتها إنما خرجتا مخرج الغالب ، وقد مضى في أول سورة « النساء » أيضاً القول فيه (٢) ، وذكرنا في آية المواريث حكمه ، فلا معنى لإعادته : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ ﴾ أي : أليس الذي قدرَ على خلق هذه النعمة من قطرة من ماء ﴿ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ أي : على أن يعيد هذه الأجسام كهيتها للبعث بعد البلى ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قرأها قال : « سبحانك اللهم ، بلى » (٣) ، وقال ابن عباس : من قرأ : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (٤) إماماً كان أو غيره فليقل : سبحان ربي الأعلى ، ومن قرأ : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ إلى آخرها إماماً كان أو غيره فليقل : « سبحانك اللهم ، بلى . ذكره الثعلبي من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (٤) .

ختمت السورة والحمد لله .

(١) ارجع إلى الآية (٥٠) من سورة الشورى .

(٢) الآية (١) من سورة النساء .

(٣ ، ٤) صحيح : حديث صححه الألباني (٨٢٧) في صحيح أبي داود ، وعزاه ابن كثير (٨ / ٢٢٣) في تفسيره لابن أبي حاتم في تفسيره ، وذكره الألباني في صفة الصلاة (ص ١٠٥) ، وعزاه لأبي داود والبيهقي - رحمه الله .